بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أهمّ موضوع يحتل موقعاً رفيعاً في خارطة الثقافة الإسلامية، وكذلك في الثقافات الأخرى، مسألة زيارة الأضرحة المطهرة والمقدّسة للمعصومين عليهم السلام والأولياء وكذا التوسّل بهم، وإقامة مجالس العزاء في ذكرى استشهادهم ومهرجانات الفرح والسرور في مناسبات ولاداتهم، أو كل ما يتعلّق بنحوٍ أو بآخر بهذه الكواكب الطاهرة ولا سيّما الساحة المقدسة للإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام.

إنّ مراجعة سريعة لآيات القرآن والأحاديث والروايات ستبيّن لنا حقيقة ناصعة وهي، أنّه لم ولن يكن هناك مخلوق أحبّ إلى الله تبارك وتعالى من النبي محمد وآله صلى الله عليه وآله.

فكلّهم يضيء من سراج واحد وهم ليسوا سوى حقيقة واحدة.

مع ذلك فإنّ للإمام سيد الشهداء عليه السلام تجلياً خاصاً وتلألؤاً باهراً سنحته الظروف الزمانية والمكانية التي أحاطت به والمهمّة الخاصة التي حمّله إيّاها ربّ العزّة سبحانه وتعالى، وهذا التجلّي والتلألؤ هما اللذان مكناه من التربّع

على عرش قلوب جميع أفراد البشر، والمؤمنين منهم على وجه أخصّ.

ونظراً للمنزلة الاستثنائية والدور العظيم الذي يضطلع به الإمام الحسين عليه السلام ومجالس العزاء الحسينية في هداية البشرية إلى الطريق الإلهي المستقيم، فقد شاء الله تبارك وتعالى أن يظلّ اسم الحسين المقدس وملحمته البطولية خالدة على مدى التاريخ[1]، وأن تبقى شعلة التعزية الحسينية وهّاجة عند جميع الأمم والشعوب وفي مختلف بقاع العالم.

فما من عمل يجاري تأثيرات إقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام لصيانة الدين من الانحراف والمحافظة عليه من الهجمة الشرسة لأعداء الإسلام وسعيهم لمحو الدين، أضف إلى ذلك نشر الثقافة الدينية.

ولكن ممّا يؤسف له حقاً أنّه على الرغم من الأهمية والمكانة العظيمة التي تحتلها مجالس التعزية في الثقافة الإسلامية، بيد أنّهالم تسلم من الآفات والانحرافات والأخطار الكثيرة التي شابتها على مرّ الأزمان، والتي قلّلت، إلى حدّ ما، من عظمة الدور الذي تضطلع به هذه «الوسيلة» المهمة، فجعل مجالس التعزية، بل قل إن شئت، المراسيم الخاصة بالمعصومين عموماً، تفشل في التعبير عن إمكاناتها وقدراتها بشكل تام، أو بعبارة أخرى، فشل القائمون على هذه المجالس من تمثّل جميع الآثار المقدسة والمهمة التي عنيت بها الوصايا الإلهية والأقوال السديدة والحكيمة لأئمة الدين وتأكيداتهم على إقامة مثل هذه المجالس.

۱. للمزيد من المطالعة حول علم الأنبياء السابقين بحادثة سيد الشهداء عليه السلام عن طريق الوحي وبكائهم عليه انظر: الدر المنضود، ص ۱۵۱/ نفس المهموم، ص ۲۰/ محن الأبرار، ص۴۹/ وسائل المحبين.

تستبطن التعزية الصحيحة المنسجمة مع الهدف الرئيسي لثورة سيد الشهداء عليه السلام دوراً بنّاءً وعظيماً وآثاراً إيجابية جمّة لدرجة أنّ المعزّين الحسينيين لو أحسنوا توظيف هذه «الوسيلة» وتمثّلوها بالشكل الأمثل والصحيح وحالوا دون أن تنسلّ إليها جميع هذه الآفات، لألفينا المجتمع المسلم والعالم الإسلامي في أوضاع مغايرة تماماً لما هما عليه في الوقت الحاضر.

لو كان الشيعة تفطّنوا لرسائل عاشوراء بصورة جادة واقتبسوا أمثولتها على النحو الأكمل، لكنّا شهدنا اليوم مجتمعاً إسلامياً أكثر تقدّماً على الصعيدين المادي والروحي، ولما عانى من كلّ هذه المشاكل والمعضلات التي تمسك بخناقه.

ليس هناك من ديانة أو أمة في العالم تمتلك مثل هذه «الوسيلة» الناجعة والقوية تتيح لها بلوغ مراقي التقدّم والسعادة، ولكن، واحسرتاه على المجتمع المسلم الذي لم يقدّر هذه «الوسيلة» الأنجع حقّ قدرها ولم يولها الأهمية التي تستحق.

واحسرتاه على المجتمع المسلم الذي لم يغرف من هذه الثروة العظيمة ومن الأهداف الأصلية للثورة الحسينية المعطاء إلاّ صبابة كأس.

بعبارة أخرى، إنّ جزءاً يسيراً جداً من هذه المليارات من الساعات و المليارات من الأموال والجهود العظيمة التي صُرفت ربّما تنسجم مع الهدف الأصلي للتعزية والمقاصد المهمة التي حثّ عليها أهل البيت عليهم السلام من وراء إقامة مجالس العزاء والمراثي.

لم يسبق أن احتاج المجتمع المسلم لتوظيف هذه الطاقة العظيمة والفريدة لمجالس العزاء والتعظيم للمعصومين عليهم السلام كما هو بحاجة لها اليوم، والتطبيق الدقيق والصحيح لدروس عاشوراء ورسائل الطف الخالد.

درجات التعزية والمعزّين[1]

المعزّون، كما المؤمنون، لهم درجات ومراتب مختلفة، وتبيّن كل مرتبة مكانة المعزّي في نظام الخلق الإنساني وعند الله تعالى وكذلك درجة قربه من سيد الشهداء عليه السلام. مع العلم أنّ لجميع درجات التعزية أجر وثواب إلهي، وكل مرتبة يصيبها المعزّي له فيها خير وثواب.

الدرجة الأولى في التعزية

في هذه الدرجة يكون المعزّي في أعماق قلبه مغتمّاً وساخطاً بسبب المصيبة التي حلّت بسيد الشهداء عليه السلام، ولكن دون أن يفصح، في العادة، عن هذا الغم والسخط ظاهرياً. هذه هي أقل درجات التعزية، بحيث تليها درجة أعداء الإمام الحسين عليه السلام، عنيتُ بذلك، درجة الشخص الذي يعي مصائب الحسين لكنّه لا يبدي انفعالاً حيالها ويوطّن نفسه عليها.

أولئك الذين يقفون في الدرجة الأولى من العزاء، لهم عند الله أجر وثواب،

---

١ . في هذا التقسيم تمّ التركيز على الأبعاد الاجتماعية والسياسية ذات المضمون العقائدي.

مهما كان دينهم وشريعتهم، يتناسب وحجم عقيدتهم، على ما تجرّعوا في قلوبهم من غصّة لمصاب أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام[1].

الدرجة الثانية في التعزية

يعبّر المعزّي في هذه الدرجة عن حزنه وسخطه في صور متعدّدة كأن يكفهرّ وجهه مثلاً، أو يتقمّص حالة الحزن والتباكي، أو أن يبكي أو يلبس ثياب العزاء، أو يلطم على صدره ورأسه ...، وقد يفعل ذلك منفرداً أو بمعيّة سائر المعزّين.

يشي نزوع المعزّين اليهود والمسيحيين وأتباع سائر الأديان الأخرى ـ الذي يذرفون الدمع على الإمام الحسين عليه السلام ويشعرون بمشاعر خاصة تجاهه ـ بهذه الحقيقة وهي أنّ الإمام بالنسبة لهم هو «الغريب القريب».

في الحقيقة، إنّ كلّ المعصومين عليهم السلام ولا سيّما الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام لهم حضور وقبس في أعماق كل فرد من أفراد البشرية حيث سنقدّم الإيضاحات المفصّلة والوافية في هذا الموضوع في الدرجة الرابعة من التعزية.

الدرجة الثالثة في التعزية

في هذه الدرجة التي يشكل أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام القسم الأعظم فيها، يعلن المعزّي عن سخطه وغضبه على المتسبّبين بهذه المصيبة والجناة الذين انتهكوا حرمة سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه، وبشكل عام، أهل البيت عليهم السلام جميعاً، ويقوم بلعنهم والدعاء عليهم. إنّ السبب وراء تقدّم المعزّي من الدرجة

١ . سنقدّم مزيداً من الإيضاحات حول ثواب المعزّين غير المسلمين في مبحث ماهية التعزية.

الثانية إلى الدرجة الثالثة هو المعرفة التي اكتسبها عن الجوهر المقدس لسيد الشهداء عليه السلام، وارتقاء إيمانه بهذا الإمام الهمام وتعاليمه.

والقصد من التعزية في هذه الدرجة هو نيل الثواب وقضاء الحاجات وإبداء فروض الولاء والطاعة والاحترام.

بعد البحث في هذه الدرجات نستشف بوضوح أنّ العواطف والمشاعر هي العنصر الرئيسي في هذه الدرجات الثلاث. إذا أمعنّا بدقة في الأعمال الفنية والمرثيات والقصائد العاشورائية سنجد إنّها تشير بما لا لبس فيه أنّ التعزية في هذه المراحل الثلاث تدور في دائرة الأحاسيس والمشاعر، بما يعني أنّ المعزّي لم يسمو بنفسه إلى مراتب ومراحل أعلى.

آفات التعزية

هنا، لابدّ لنا من الاعتراف أنّ إلغاء عنصر الإخلاص من التعازي والتمحور حول القضايا العاطفية والارتكاز على الظواهر وتجاهل الحكمة من إقامة هذه التعازي ومجالس التعظيم، وكذلك تحوّل البكاء والعزاء من «وسيلة مفيدة وناجعة» إلى «هدف رئيسي» في حدّ ذاته، أقول إنّ هذا الإلغاء أدّى إلى فقدان هذه المجالس لفلسفة وجودها ووظيفتها الأصلية.

آفات التعزية في الدرجة الثالثة

في الدرجة الثالثة من التعزية، تظهر، مع الأسف، انحرافات وأساليب قبيحة وبدع خطيرة تتناقض مع فلسفة التعزية وروح الملحمة الحسينية.

أنّ أحد الأسباب الرئيسية والأصلية وراء مثل هذه الأساليب والبدع

والانحرافات هي جمود هذه الدرجة من التعزية عند مستوى العواطف والمشاعر والارتكاز المحض على البكاء والنحيب.

في هذه الدرجة من التعزية يلعب البكاء والإبكاء ـ ولا شيء غير ذلك ـ دوراً رئيسياً، بينما يغيب تماماً الهدف الأصلي للتعزية والأبعاد الملحمية والمعرفية، أو إنّه دور يسير للغاية، ذلك أنّ الشيء الذي يحوز على الأهمية في هذه الدرجة من التعزية هو شرح تفاصيل واقعة عاشوراء وليس تمثّل دروسها والرسائل التي أفرزتها. وبطبيعة الحال، عندما يكون الهدف الرئيسي للتعزية هو البكاء والإبكاء، فإنّ الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء سيكون لهما تأثير كبير في اختلاق الأكاذيب والتحريف وكذلك ابتكار الحركات والأساليب والقصائد القبيحة التي لا تنسجم مع جوهر الدين وحقيقته ولا مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

في هذه الدرجة من التعزية يحلّ الجانب العاطفي والانفعالي في التعزية محلّ الملحمة والعمل والمعرفة، لذلك فإنّ هذه المجالس لا تشكل أي تهديد أو خطر على أعداء الإمام الحسين والإمام المهدي عليهما السلام ، لهذا السبب، فإنّ الطغاة والظالمين على مرّ التاريخ لم ترهبهم هذه المجالس، لا بل كانوا يشجّعون على إقامتها ليخفوا نفاقهم وزيفهم وباطنهم القبيح وظلمهم وراء الوجه الناصع والمقدس للتعزية على سيد الشهداء عليه السلام.

وبالإضافة إلى هذين الفريقين، أعني، الغافلين من محبي أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، والحكام الظالمين المدّعين حبّهم، هناك فريق ثالث يستغلّ هذا النوع من المجالس الجوفاء المحرّفة ويوظّفها لصالحه، وهم الكفّار والمستكبرين الذين نالتهم ضربات موجعة وقاصمة عبر التاريخ بسبب مجالس العزاء الحقيقية والمعزّين الحقيقيين.

فقد لجأ وما يزال إلى تدبير أنواع المؤامرات والدسائس وإنفاق الأموال الطائلة من أجل حرف مسار التعزية وتضخيم جانب المراثي والشحن العاطفي، وفي المقابل، امحاء البعد المعرفي والملحمي في هذه التعازي.

الدرجة الرابعة

تسليط الضوء على المعصومين عليهم السلام ومصائبهم

إنّ صفاء باطن المعزّي وارتفاع منسوب المحبة والإخلاص عنده تجاه حقائق العالم هي التي ترفع درجته من الدرجة الثالثة وهي درجة «مشتركة» بين المسلمين وغير المسلمين إلى درجة أعلى وتضعه في زمرة المعزّين والشيعة الحقيقيين للمعصومين عليهم السلام.

في الدرجة الثالثة، يتعرّف المعزّي على تجليات مختلفة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، هنا يجد المعزّي أنّ بقاءه في هذه الدرجة لايرضي طموحه ولا يشبع رغبته لذلك يشعر في أعماقه بعطش شديد وطاقة هائلة لدرك عظمة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله ولا سيّما عظمة مقام سيد الشهداء عليه السلام، ولا تستطيع التفسيرات والتبريرات التي يطرحها المدّاحون وبعض الخطباء والكتّاب، الذين هم أيضاً توقّفوا عند المرحلة الثالثة، أن تروي عطشه أو ترضي قناعاته، ذلك أنّهم يكتبون وينشدون على قدر فهمهم عن الإمام الحسين عليه السلام وليس أكثر، بيد أنّ المعزّي يدرك جيداً ويشعر صادقاً بأنّ الحقيقة أسمى ممّا يقولون. هنا، يبدأ المعزّي محاولاته من أجل الوصول إلى المعرفة الجديدة ولكي يسبر أغواراً أبعد، فيتحرك على طريق إرواء عطشه للمعرفة الجديدة وإزاحة أستار المجاهيل.

العلاقة أو العلاقات الموجودة بين المصيبة العظيمة والعظمى

إنّ «المعزّي الحقيقي» وفي ظلّ المعرفة التي اكتسبها من المصادر الإسلامية الأصيلة وبمساعدة الدور المرشد لعلماء الدين، يصل إلى نوعين من «مصيبة» المعصومين عليهم السلام في الساحة المقدسة لسيد الشهداء عليه السلام، وهما، وإن كانتا كلتاهما عظيمتين، لكنّ إحداهما أعظم من الأخرى.

المصيبة العظيمة

وهي المصيبة التي وقعت للوجود المقدس والنوراني للإمام الحسين عليه السلام، أعني، الفظائع والظلامات التي وقعت في يوم عاشوراء والمتمثّلة باستشهاد الإمام سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته الكرام عليهم السلام.

المصيبة العظمى

المصيبة العظمى، هي المصيبة التي ابتلي بها المجتمع البشري على مرّ التاريخ بسبب حرمانه من حقيقة الدين وكذلك حرمانه من القادة الإلهيين لا سيّما الأئمّة المعصومين عليهم السلام. وقد حلّت هذه المصيبة بسبب إقصاء المعصومين عليهم السلام عن مقامهم الذي وضعهم الله تعالى فيه لقيادة المجتمع البشري وهدايته.

كلتا المصيبتين عظيمتان ومريرتان، غير أنّ مصيبة عجز القادة الإلهيين عن تحكيم دين الله على الأرض، ومصيبة حرمان أمم العالم من حاكمية القادة المعصومين والمتخصّصين الإلهيين أكبر، ذلك أنّ تسليم القادة الإلهيين وأتباعهم

للمصيبة العظيمة وتحمّل مختلف أنواع وأشكال المصائب العظيمة هو للـ«الحؤول» دون وقوع المصيبة العظمى. في حين أنّ فرض الطغاة والظالمين المصيبة العظيمة على القادة الإلهيين وجميع المؤمنين بالفطرة هو من أجل«خلق» مصيبة عظمى.

المؤمنون بالفطرة تحمّلوا المصيبة العظيمة بأرواحهم لكي «يمنعوا» وقوع المصيبة العظمى ومحاربتها، بينما تسبّب الطبيعيون بالمصيبة العظيمة كيما يفتحوا الطريق أمام حدوث المصيبة العظمى. المصيبة العظمى هي ابتعاد الناس عن دين الله واتّساع نطاق الوقوع في الكفر والشرك والنفاق.

الجانب المرير في المصيبة العظمى

يبرز الجانب المرير في المصيبة العظمى في جميع الآثار الناجمة عن حرمان المجتمع الإنساني من قيادة المتخصّصين المعصومينعليهم السلام وحاكميتهم، فكلّ الحروب والظلم والفساد والضياع والنكبات التي عصفت بالمجتمع الإنساني على مرّ التاريخ كانت وما تزال من جراء المصيبة العظمى.

المعصومونعليهم السلام والأساليب المختلفة للحضّ على إقامة مراسيم التعزية

لهذا السبب كان المعصومونعليهم السلام يحضّون على البكاء عليهم وإقامة مجالس التعزية لجميع المعصومين، وكانوا هم أنفسهم يبرزون أهمية هذا الأمر عملياً من خلال البكاء وإقامة مجالس العزاء بعضهم على البعض الآخر، وكانوا يعملون على ترسيخ هذه التقاليد في المجتمع الإسلامي.

فقد خاطب الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله بضعته الزهراءعليها السلام بالقول:

«يا فاطِمَةُ! كُلُّ عَيْنٍ باكِيَةٌ يَوْمَ الْقيامَةِ إِلّا عَيْنٌ بَكَتْ عَلى مُصابِ

الْحُسَينِ فَإِنَّها ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعيمِ الْجَنّةِ»[1].

كما يقول الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام:

«أَيُّما مُؤمِنٍ دَمَعَتْ عَيْناهُ لِقَتْلِ الْحُسين بنِ علي دَمْعَةً حَتّى تَسِيلَ عَلى خَدِّهِ بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرَفاً»[2].

و عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» أنّه قال:

«مَنْ ذُكِرْنا عِنْدَهُ فَفاضَتْ عَيْناهُ حَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَلَى النَّارِ»[3].

وعنه أيضاً «عليه السلام»:

و عن الإمام الرضا «عليه السلام» أنّه قال:

«فَعَلى مِثْلِ الْحُسَينِ فَلْيَبْكِ الْباكُونَ فَإِنَّ البُكاءَ عَلَيهِ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظامَ»[4].

إنّ التعزية هي أفضل وأهم وأقوى وسيلة لإحياء دين الحق وترسيخ علاقة الناس بالقادة الإلهيين، لدرجة أنّه لا يوجد أيّ بديل بإمكانه أن يحلّ محلّها على صعيد القوة والسعة.

فإنّ البكاء والتعزية هي ردّ الفعل الطبيعي على وقوع المصيبة العظيمة.

وظيفتنا إزاء المصيبة العظمى

وظيفتنا الأصلية إزاء المصيبة العظمى هي «الثأر والانتقام»، الثأر من أولئك

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٩٣.
٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٥.
٣. بحار الأنوار،ج ٤٤، ص ٢٨٥.
٤. بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٢٨٤.

الذين حرموا المجتمع العالمي من أبوه الحقيقي والإمام المعصوم والهادي المتخصّص[1].

إنّ دعاءنا وشعارنا في هذه المرحلة هو:

«جَعَلَنا وَ إِيَّاكُمْ مِنَ الطَّالِبِينَ بِثأرِهِ مَعَ وَلِيِّهِ الْمَهْدِيِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله»[2].

إذن، الوظيفة الأصلية للشيعة وشعارهم المبدئي في مواجهة المصيبة العظمى هو السير في ركاب المنتقم الأصلي في عملية الانتقام التي لا بد أن تتحقّق.

على أنّنا إذا لم نعمل بهذه الوظيفة الأهم بكثير من وظيفتنا إزاء المصيبة العظيمة، فإنّ ذلك يعدّ منتهى الجفاء والقسوة بحقّهم، فضلاً عن إنّنا لم نمتثل لواجب الرحمة تجاه آبائنا الذي أوجبه علينا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وكذا، واجب مودّتهم الذي فرضه القرآن الكريم علينا[3].

لا يمكننا أن نقول للإمام المهدي عليه السلام: إنّنا معك في المصيبة العظيمة نبكي جدّك الغريب، لكنّنا نعتذر عن نصرتك في المصيبة العظمى للانتقام من قتلة جدّك واستعادة «دم الله» ليجري ثانيةً في جسد المجتمع، إنّ ما يطلبه

---

١ . ربّما تبادر إلى الذهن هذا السؤال وهو، إذا كان الله قد خصّ الأئمة عليهم السلام بمقام الإمامة والهداية للمجتمع العالمي، إذاً لماذا لم يتمكنوا من المحافظة على هذا المقام لأنفسهم، أو لماذا استطاع أعداؤهم اغتصاب هذا المقام منهم؟ لتصل أوضاع المسلمين والمجتمع العالمي إلى ما وصلت إليه؟ الإجابة عن هذا السؤال وردت بشكل مفصّل في الباب الثاني من كتاب «آشتي با امام زمان عليه السلام» (التصالح مع الإمام المهدي عليه السلام).

٢ . البلد الأمين، ص ٢٦٩.

٣ . «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى»، سورة الشورى، الآية ٢٣.

الإمام عليه السلام منّا في هذه المرحلة هو المشاركة في عملية أخذ الثـأر لا البكـاء والتعزية فقط.

وها هو المعزّي من الدرجة الرابعة، بعد اكتسـابه معـارف جديـدة وأرقـى، أصبح يمتلك «روح انتقامية» من الذين أزاحوا المعصومين من المقام والمنزلـة التي وضعهم الله فيها، وكذلك الانتقام من الذين أعانوا غاصـبي مقـام «الإمامـة وهداية» المجتمع على ارتكاب هذه الجريمة العظمى بحق أمم العالم.

البكاء والإبكاء وإن كانا يشكلان مسؤولية مهمـة، إلا أنّهمـا غيـر كـافيين للمعزّي في هذه المرحلة، فهو قد أصبح عضواً في حزب الإمـام الحسـين عليه السلام وهو «حزب الله» بفضل المودة التي اكتسبها.

مجالس التعزية في الدرجة الرابعة

التعزية في هذه الدرجة عبارة عن وسيلة لإحياء القيم المقدسـة وصـيانتها والتي بذل أهل البيت عليهم السلام مهجهم دونها.

هذه المراسيم بعيدة عن الكـذب والحـرام والتجـديف والفُرقـة، وباشـتراك الناس في هذه المجالس، فإنّهم يتعرّفون على الدين وواجباتهم أكثر فأكثر.

إنّ مجالس التعزية وتكريم المعصومين عليهم السلام في الدرجة الرابعة هـي مكـان «لمعرفة روح الانتقام والعثور عليها». في هذه المجـالس يُسـلّط الضـوء علـى الشخصية الإلهية لسيد الشهداء عليه السلام ومكانته في نظام الخلق، وسـتتجلّى أهميـة مفهوم «أنّ الحسين هو ثار الله وعنصر حياة الإسلام» من خـلال الكيفيـة التـي تقام بها مجالس العزاء.

فمجلس العزاء الأصيل و الأفضل عند المعزى من الدرجة الرابعة هو الـذى

يزرع فى أعماقه الروح الحسينية ليتشاكل وجوده مع الوجود المقدس للامام الحسين عليه السلام

الدرجة الخامسة (عمليات الثأر)

يتّصف المعزّي في هذه الدرجة التي هي مرحلة متكاملة للدرجة الرابعة، بنقاء السريرة وبمعرفة أعمق. في هذه الدرجة، حيث اكتسب «المعزّي الحقيقي» في ظلّ المعرفة الأعلى التي حصل عليها مودّة أهل البيت عليهم السلام وكذا، الشعور بالانتقام إزاء الأعداء، ينزع بشكل أكبر نحو «العمل»، العمل النابع من رحم المودّة والمبتني على العقيدة والبصيرة الإلهية العميقة.

المعزّي الحقيقي هو الذي إذا يبكي ويئنّ للمصيبة العظيمة التي حلّت بالإمام الحسين عليه السلام فإنّه يكون أكثر عزاءً في المصيبة العظمى.

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«انَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» حَرارَةً فى قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ لا تَبْرُدُ أَبداً»[1].

إذا كان المعزّي الحقيقي يحمل لوعة وحرارة في فؤاده جراء المصيبة العظيمة وهي استشهاد الإمام وأصحابه عليهم السلام ، فإنّ قلبه يزيد اضطراماً واشتعالاً بدرجات مضاعفة لإزاحة الإمام عليه السلام عن المقام الذي وضعه الله فيه، لأنّ فيه نفخة وروح حسينية. إنّه الابن الحقيقي لسيد الشهداء عليه السلام وقد جعله الله ولي دم الإمام، ويصطلي قلبه لفحة من الحقد والانتقام لا تنطفئ أبداً، حقد مقدس تجاه أعداء الله والإنسانية، يرفع مقامه إلى الدرجة الخامسة من التعزية، أي، درجة

١ . مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ٣١٨.

العملياتية والجهاد والنضال ضدّ أعداء الحسين.

دعاؤه في هذه المرحلة هو الذي تعلّمه في زيارة عاشوراء وسائر الزيارات وهو:

«فَاسْئَلُ الله الَّذي أَكْرَمَ مَقامَكَ و أَكْرَمَني بِكَ أَنْ يَرْزُقَني طَلَبَ ثارِكَ مَعَ اِمـامٍ مَنْصُور مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[1].

وفي فقرة أخرى يخاطب فيها سيد الشهداء عليه السلام فيقول:

«فَاَسْئَلُ اللَّهَ الَّذي أَكْرَمَ مَقامَـكَ وَ أَكْـرَمَنى بِـكَ أَنْ يَـرْزُقَني طَلَـبَ ثأرِي مَعَ إِمامِ هُدًى،[2] ظاهِرٍ ناطِقٍ بِالْحَقِّ مِنْكُمْ[3]».

الدرجة الخامسة هي درجة العملياتية والتحرّك ضـدّ أعـداء الـدين وأهـل البيت عليهم السلام والمتسبّبين بالمصيبة العظمى. بعبارة أخرى، هذه الدرجة هي وجوب الفهم الصحيح للمصيبة العظمى. المصيبة العظمى لا تتطلـب أي رد فعـل سـوى الجهاد والنضال.

المراحل الثلاث في عمليات الثأر

إنّ ما يتوجّب على المعزّي فعله في عمليات الانتقام كما هو واضح من اسم هذه المرحلة هو القيام بسلسـلة مـن العمليـات، أي، بمعنـى أدق، إنّ الوظيفـة المناطة به هي أبعد من القلب والمشاعر والعقل والإدراك.

---

١ . مفاتيح الجنان، زيارة عاشوراء.

٢ . في زيارة عاشوراء نسخة المرحوم ميرزا علي آقا قاضي وردت كلمة «الإمام المهـدي» بـدلاً مـن «إمام الهدى».

٣ . مفاتيح الجنان، زيارة عاشوراء.

نستشفّ من مجموع تعاليم القرآن الكريم والمعصومين عليهم السلام أنّ المؤمن في هذه المرحلة يتحمّل ثلاث وظائف عملية في هذه المرحلة هي: اللعن والبراءة اللفظية، البراءة العملية، جهاد الأعداء.

١ - اللعن والبراءة اللفظية

إنّ قطع أو إضعاف ارتباط الإنسان بالله تبارك وتعالى أو بالمعصومين عليهم السلام هو أكبر جريمة وخيانة في حياة البشر، وإنّ الله وأنبياءه وملائكته يلعنون كل من كان له دور على مرّ التاريخ البشري وحتى الآن في هذه الجريمة والظلم العظيم.

واللعن معناه الطرد من دائرة الرحمة والهداية الإلهية، والابتعاد عن طريق السعادة، ومن البديهي أنّ الذين أخرجوا أنفسهم والآخرين عن حصن الله والقادة المعصومين عليهم السلام وحرموا أنفسهم والآخرين من رحمة الله وهدايته، وبالتالي ابتعدوا عن طريق السعادة، إنّ هؤلاء ملعونون، والملعون هو الذي انحرف عن مسار الهداية الصحيح نحو الضلال.

معنى آخر للعن كما اصطلح عليه الناس والذي يتبع المعنى الأول هو طلب العذاب والثبور للمتسبّبين بهذه الجريمة العظيمة. سبب هذا اللعن والدعاء واضح جداً وهو الكراهية المشروعة التي تعتمل في أعماق كل إنسان ضدّ المتسبّبين بهذه الخيانة.

إنّ إعلان البراءة اللفظية هو أقلّ عمل في مراحل عمليات الانتقام والذي بدوره يعدّ عملاً كبيراً ومهماً للغاية. وتفرز هذه المرحلة آثاراً مهمة ومتعددة ليس هاهنا مجال بحثها. قد لا يجد المرء زيارة واحدة من

الزيارات المروية عن أهل البيت عليهم السلام تخلو من لعن الأعداء والبراءة اللفظية منهم. وفي القرآن الكريم أيضاً جاء لعن أعداء دين الله والبراءة منهم في مواضع عديدة.

وفي زيارة عاشوراء والكثير من زيارات الأئمة عليهم السلام نجد أنّه أينما ذُكرت المحبة والولاية للمعصومين عليهم السلام، أعقبها إعلان البراءة من أعدائهم.

أمّا الذي لا يلعن الأعداء الحاليين للإمام المهدي عليه السلام ولا يستطيع الإعلان عن حقده المقدّس وعدائه لهؤلاء، فعليه أن يرتاب في صدق محبّته وإيمانه للمعصومين عليهم السلام.

في السنوات الأخيرة تكرّر ظهور الذين يتظاهرون بالإيمان والتديّن فيدعون الناس إلى الكفّ عن لعن الشيطان الأكبر أمريكا وإعلان البراءة اللفظية منها ومن سائر القوى العالمية التي تعتبر مصدر جميع الجرائم والعدو الأول للإسلام والإمام المهدي عليه السلام، وبالأخص منع الشعب من تكرار شعار الموت لأمريكا والموت لإسرائيل. كما شاهدنا كثيراً وما نزال ظهور عدد من المتديّنين السطحيين وهم يعلنون معارضتهم لمراسيم إعلان البراءة في الحج.

٢ ـ البراءة العملية

البراءة العملية هي الابتعاد عن الثقافة والهيمنة الثقافية للأعداء، واجتناب أخلاقياتهم ومعتقداتهم.

من الطبيعي، أنّ إظهار المحبة لأهل البيت عليهم السلام لا ينسجم مع تبنّي ثقافة الأعداء وأخلاقياتهم، يقول الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» في هذا الموضوع:

«نَحْنُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ وَ مِنْ فُرُوعِنا كُلُّ بِرٍّ فَمِنَ الْبِرِّ التَّوْحيدُ وَ الصَّلاةُ وَ الصِّيامُ وَ كَظْمُ الْغَيْظِ وَ ... و عَدُوُّنا أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ وَ مِنْ فُرُوعِهِمْ كُلُّ قَبيحٍ وَ فاحِشَةٍ فَمِنْهُمُ الْكِذْبُ وَ الْبُخْلُ وَ النَّميمَةُ وَ الْقَطيعَةُ وَ أَكْلُ الرِّبا وَ ... فَكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَعَنا وَ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفُرُوعِ غَيْرِنا»[1].

إذن، فقد كذب من زعم أنّه ينتمي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام لكنّه يتخلّق بأخلاق أعدائهم، ويتعامل مع شيعة أهل البيت عليهم السلام بالربا وسوء الخُلُق وبذاءة اللسان والنميمة والاحتكار والاستغلال والبخل والغش. كذب من زعم أنّه محبّ لأهل البيت عليهم السلام ولم يتبرأ من أعداء الدين وأصحاب الثقافات الفاسدة المعادية للإنسانية، ويُدمي قلب الإمام المهدي عليه السلام وسائر أهل البيت عليهم السلام عبر المساهمة في سلوك التبرّج والسفور وترك الصلاة وهتك الأعراض والتربية غير الدينية والخاطئة للأطفال. كيف يزعم أنّه محبّ لأهل البيت عليهم السلام ويرفع على باب بيته بيرق «يا حسين» ويوشّح منزله بالسواد لإقامة مجالس العزاء على أهل البيت عليهم السلام ويلبس السواد في أيام العزاء، وفي نفس الوقت قلبه مفعم بحب أعداء الإمام المهدي عليه السلام والوله بهم وبثقافتهم القذرة!

إذن، لا تستقيم المحبة مع ضعف البراءة والعداء لثقافة الأعداء، فقد قيل للإمام الصادق عليه السلام إنّ فلاناً يواليكم إلاّ أنّه يضعف عن البراءة من عدوّكم فقال: «هَيْهاتَ، كَذَبَ مَنْ اِدَّعى مَحَبَّتَنا وَ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْ عَدُوِّنا»[2].

٣ – الجهاد ضد الأعداء وتوجيه الأذى لهم وتحجيم قوّتهم حتى القضاء المبرم عليهم.

١ . اصول الكافي، ج ٨، صص ٢٤٣ – ٢٤٢.
٢ . بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٥٨ .

ملاحظات في البصيرة الدينية

استكمالاً للتوضيح حول المراحل الثلاث في الانتقام، نذكر بعض الملاحظات الضرورية وذلك في ضوء الظروف الحسّاسة الراهنة التي يعيشها المجتمع العالم و خاصة العالم الإسلامي وكذا، بالنظر إلى فتاوى وتوجيهات ولي أمرالمسلمين سماحة القائد (دام ظله الوارف)، فإنّه من الواجب الامتناع عن «اللعن» أو «سب» المقدسات ورموز المذاهب الإسلامية الأخرى، وذلك لأنّ سماحته يعتقد: «كل حنجرة تنادي بوحدة العالم الإسلامي هي حنجرة إلهية، تنطق باسم الله، وكل حنجرة ولسان يثير العداوة والبغضاء بين مختلف المذاهب والطوائف الإسلامية ويدعو إلى العصبيات، فهو ينطق باسم الشيطان»[1].

المعزّي الحقيقي الذي يتطلّع إلى التضحية والفداء من خلال عملية الانتقام في ركاب الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة كلّه آذان صاغية لأوامر نائب الإمام أعني الولي الفقيه. لذا، ففي الوقت الذي يحافظ على جذوة الحقد والنفور من أعداء أهل البيت عليهم السلام متقدة في قلبه، ويحافظ على الاستعداد العالي وروح الجهاد والشهادة، لا ينبري من نفسه إلى أيّ عمل بعيد عن الحكمة والمصلحة العامة للإسلام والمجتمع الإسلامي.

لقد كشفت البصيرة الدينية التي في نظراته القناع عن وجوه المدّعين زوراً وبهتاناً باسم الإسلام لكنّهم في الحقيقة يعملون لصالح أعدائه وأعداء الإمام

١ . سماحة قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي دام ظله الوارف. لقاء مع المشاركين في المسابقات الدولية للقرآن الكريم في عام ٢٠١٣م.

المهدي عليه السلام ، وأتاحت له هذه البصيرة لأن يدرك مسألة وهي أنّ هذه الجماعة التي تلبس لباس السلفية والتكفير، وتتظاهر برفع لواء الجهاد ضدّ الإسلام أيديها ملطّخة بدماء آلاف المسلمين المظلومين والمستضعفين في أرجاء العالم الإسلامي الذين سُفكت دماؤهم بغير وجه حق، وإنّهم أتباع يزيديّ هذا العصر، وأنّ زعماء حكومات الجور والظلم كأمريكا وإسرائيل وبعض الدول الغربية والأوروبية وحتى العربية من أذناب الاستكبار العالمي هم يزيد وعمر بن سعد والشمر في زماننا هذا الذين يستحقّون منّا أشدّ اللعن والنفور والتصدّي والجهاد حتى إبادتهم عن آخرهم.

خلو روح الجهاد من الخطر

لقد عانى أهل البيت عليهم السلام وجميع القادة المعصومين عبر التاريخ البشري من مصائب عظيمة، من أجل يحافظوا على الحياة الحقيقية للبشر في إطار دين الله، وكلما تعرّضت الحياة الإنسانية أو مسبّبها، أعني، دين الله، للخطر بذل أهل الدين والمؤمنون الحقيقيون كل ما في وسعهم لإنقاذ البشر.

إنّ الذين يوجّهون النقد لحكم «الجهاد» في الإسلام معتبرين إيّاه عنفاً وقسوة، لا يتوفّرون على الحياة الإنسانية، ولا هم سمعوا عنها أو عن قيمتها شيئاً. إنّه حمق ما بعده حمق أن نعتقد بأنّه ينبغي لنا أن نثمّن حياتنا الطبيعية الدنيوية وأن نتصدّى لكل ما يهدّدها، ولكن حين يتعلّق الأمر بالحياة الإنسانية والبشر والسعادة الأبدية، يصبح التصدّي لها، حينئذٍ، عنف وقسوة! والحقيقة هي، كما أنّ تهديد الحياة الطبيعية والحيوانية للإنسان وسائر الخلائق، والإضرار بالحياة الدنيوية للناس عنف وقسوة، فإنّ تهديد الحياة الإنسانية والأبدية للبشر

والإضرار بها عنف وخيانة وظلم، بل إنّ هذا الظلم أعظم وأخطر من تهديد الحياة الطبيعية للناس.

نعم، إنّ الجهاد من أجل الدفاع عن الدين والمحافظة عليه ليس فقط مسألة إنسانية معقولة ومستحبة، بل أمرٌ واجب، بحيث أنّ من لا يتوفّر على روح الجهاد، فذلك بمنزلة أنّ روحه تفتقد للدرجة الإنسانية، ومحرومة من السعادة الأبدية.

إنّ الافتقاد لروح الجهاد هو في الحقيقة تأييد وتجويز لكل ظلم وجريمة، وهو ما لا ينسجم مع الروح الإنسانية.

ولهذا السبب وصف النبي الأكرمﷺ والمبعوث رحمة للعالمين كما ورد في القرآن الكريم الشخص الذي يفتقد لروح الجهاد بقوله:

«مَنْ ماتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ ماتَ عَلى شُعْبَةٍ مِنْ نِفاقٍ»[1].

بعبارة أخرى، إنّ مثل هذا الشخص ليس مؤمناً ولا إنساناً حقيقياً، ذلك لأنّ الجهاد هو الذي يحفظ سلامة الدين وحياة الناس وأمنهم، ومن كان لا يهتمّ بأمن الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة، فليس بالإنسان الحقيقي ولا المؤمن الواقعي، لهذا السبب، نعتقد بأنّ التعزية التي تفتقد لروح الانتقام من أعداء الإمام الحسين عليه السلام وبالأخصّ أعداء حسين العصر الإمام المهدي الموعود «عجّل الله تعالى فرجه الشريف» فإنّه وحسب ما قال النبي الأكرمﷺ ليس معزّياً حقيقياً وصادقاً، بل مبتلى بالنفاق.

١. كنزالعمال، ج ٤، ص ٢٩٣، ح ١٠٥٥٨.

رابطة المعزّي الحقيقي بالمنتقم للحسين عليه السلام في عمليات الثأر

بعد أن يتبيّن للمعزّي هذه الحقيقة وهي أنّ الثأر للإمام الحسين عليه السلام لا يتيسّر إلا بظهور المنتقم الحقيقي وفي ظلّ دولته العالمية، يتوجّه بكل وجوده وكيانه صوب الساحة المقدسة للإمام المهدي عليه السلام تدفعه هذه المعرفة واللوعة التي حكمت وجوده جراء المصيبة العظيمة، ويعمل العنصران العاطفي والمعرفي اللذان يملآن وجود المعزّي على إيجاد قوة دفع باتجاه الإمام المهدي عليه السلام. ويؤدّي هذا الدفع المستمر بالمعزّي الذي تعلّم سابقاً في ظلّ المعرفة بعض الحقائق عن منزلة المعصومين عليهم السلام في نظام الخلق، وعلاقته الوجودية بهم، يؤدّي إلى زيادة معرفته بإمام زمانه، والمسؤولية التي تقع على عاتقه تجاهه. وباستكمال هذه المعرفة التي تعمل بدورها على تقوية عنصر العاطفة والمحبة، يرتقي المعزّي إلى واحدة من أهم وأعلى المنازل التي بإمكان الإنسان أن يبلغها، ألا وهي منزلة «الانتظار»[1].

في هذه الدرجة يمتلأ كيان المعزّي ـ أو «المنتظر» على الأصح – بحب الإمام المهدي الموعود «عجّل الله تعالى فرجه الشريف» وخدمته، بحيث لا يعد لديه أيّ دافع للحياة والعيش إلاّ بالتواشج معه عليه السلام ونيل رضاه الذي ينهل من رضا الله تعالى. وحينذاك يدرك المعزّي أنّ جميع الشدائد والمعاناة، وكل الظلامات والجرائم التي ابتُلي بها المجتمع الإنساني ناجمة عن غيبة هذا القائد الإلهي المعصوم.

١ . حول انتظار الإمام المهدي عليه السلام ومقام المنتظر وسبب عظمة هذا المقام راجع الباب الرابع من كتاب «آشتى با امام زمان عليه السلام » (التصالح مع الإمام المهدي).

ومن خلال الاهتمام والمحبة الأبدية التي يكنّها المعزّي لنفسه ولشعوب العالم، وكذلك محبته المتعاظمة في كل يوم لريحانة السيدة نرجس – عجّل الله تعالى فرجه الشريف –، وكذلك بالنظر للمسؤولية التي يضطلع بها والرسالة الإلهية التي يحملها تجاه إمام زمانه، فإنّه حزم أمره ودخل مرحلة «العمل والجهاد».

لكنّه عمل وجهاد هادف ذو وجهة محدّدة، فقد توصّل إلى هذه النتيجة وهي أنّ العبادة والخدمة في الإسلام من دون هدف معيّن أو وجهة محدّدة أمرٌ غير كافٍ، وإنّما ينبغي لجميع العبادات والخدمات التي تقدّم للإسلام أن تكون وجهتها واحدة وهي الخليفة أو مظهر الله تعالى، وأن ترتبط معه برباط لاينفصم. لم يعد المعزّي يتعاطى مع سلسلة من الأعمال الخيّرة والصالحة والخدمات المحضة فحسب، بل أصبحت كل أعماله الخيرة والصالحة وخدماته التي يقدّمها للإسلام والمسلمين مقترنة بروح خالصة ذات وجهة محدّدة وهدف خاص، هذه الروح هي «روح الانتظار» و«روح الخدمة من أجل الانتظار»[1].

من الآن فصاعداً، فإنّ أيّ نشاطات يقوم بها المعزّي الحقيقي والمنتظر في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والعبادية والعرفانية والثقافية والعلمية، كلّها تصب باتجاه واحد وهو اتجاه الحركة صوب ظهور الموعود ومنجي العالم وإرساء دعائم حكومته العالمية.

١ . لمزيد من المعلومات حول «روح الانتظار» وكذلك استراتيجية «الخدمة في الانتظار» التي طرحها الإمام الخميني راجع الباب الرابع من كتاب «كتاب آشتى با امام زمان عليه السلام» (التصالح مع الإمام المهدي).

وكل نشاط لا يتّجه هذه الوجهة ولا يتبنّى هذا الهدف، فهو لا يعدو عن كونه هدر للطاقات الفردية والاجتماعية وخيانة لله وللمعصومين عليهم السلام وكذلك خيانة للإسلام والمسلمين. إنّ التشدّق بشعارات الله والإسلام وإلهاء النفس بسلسلة من الأعمال المقدسة والدينية دون الأخذ بنظر الاعتبار روح الإسلام والحركة في طريق خليفة الله وحجّته وولي الله الأعظم ـ أرواحنا له الفداء ـ كلّ هذا يعدّ اغتراراً ووقوعاً في حبائل الشيطان في أشكال مقدسة.

إنّ الإسلام الذي يُنتسى فيه حجّة الله والمسؤوليات الملقاة على عاتقنا تجاهه، ليس إسلاماً محمدياً أصيلاً، بل هو إسلام أمريكي وإسلام تحت ولاية الشيطان[1].

ولا ريب في أنّ الإسلام الواقع تحت ولاية الطغاة والشيطان هو الذي أبعد الناس عن إمام زمانهم لقرون مديدة، وتركه وحيداً شريداً مظلوماً غريباً يكابد الوحشة والاضطراب[2].

تحذير إلى الخواص ومسؤولي النظام

يقول الإمام الخميني (رحمه الله) المعمار الأصلي للثورة الإسلامية في المهمة الرئيسية للثورة ومخاطر الغفلة عن هذه المهمة قائلاً:

---

١ . لمزيد من المعلومات حول أنواع الغفلة والخيانة التي وقعت وتقع بحقّ الإمام المهدي عليه السلام في مختلف الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعبادية انظر: «آشتى با زمان عليه السلام» (التصالح مع الإمام المهدي عليه السلام) الباب الثاني، مبحث «غم‌نامه و آشتى» (المرثية والصلح).

٢ . لقد وردت جميع هذه التعابير وأمثالها في حقّ الساحة المقدسة للإمام المهدي عليه السلام من قبل المعصومين عليهم السلام.

«على المسؤولين أن يعلموا أنّ ثورتنا ليست محصورة في إيران فقط، وإنّما ثورة الشعب الإيراني هي بداية الثورة الكبرى في العالم الإسلامي تحت راية الإمام الحجة (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) التي سيمنّ الله تعالى بها على المسلمين والعالمين كافة، وسيقرّر ظهوره وفرجه في العصر الحاضر. لذلك، لا ينبغي للمسائل الاقتصادية والمادية أن تشغل المسؤولين ولو للحظة واحدة عن مهمّتهم الأصلية الملقاة على عاتقهم، لأنّ ذلك سيشكّل خطراً كبيراً وخيانة عظمى. على نظام الجمهورية الإسلامية أن يبذل أقصى الجهود والطاقات في سبيل قيادة على النحو الأمثل، ولكن هذا لا يعني أن يصرفهم هذا عن الهدف العظيم للثورة»[1].

نعم، ذنّ المعزّي الحقيقي لا يساهم أبداً في صنع مثل هذا الخطر والخيانة العظمى، كما لن يسمح أن يقعوا في مثل هذا الخطر والخيانة. من أهمّ خصوصيات مسؤولي النظام في نظر المعزّي الحقيقي الوفاء لقيم إمام الأمة والوفاء للإمام الحجّة عليه السلام ، وأن يتحرّى الدقة والفطنة عند انتخابه للمسؤولين.

ظهورالإمام المهدي عليه السلام هو النهاية الدائمية والحاسمة للمصيبة الأعظم وبداية حكومة المتخصّصين المعصومين في العالم

إنّ الإمام المهدي عليه السلام وارث جميع ظلامات المعصومين الثلاثة عشر عليهم السلام بل لجميع القادة الإلهيين على مرّ التاريخ. فهو الذي سوف ينهي جميع أنواع الظلم الذي مورس بحقّ آبائه الأطهار عليهم السلام وكذلك والدته الطاهرة وكل شعوب العالم.

١ . صحيفه النور ج ٢١.

فقد قال فيه جدّه الكريم الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ رَجُلاً مِنْ وُلْدي، في آخِرِ الزَّمانِ يُطالِبُ بِدِمائِنا»[1].

بمجيئه سوف تتحوّل كل الظلامات والضلالات والجهالات والأحزان إلى عدالة وهداية ورشد وعقلانية وسرور وطمأنينة. بظهور الإمام المهدي عليه السلام الذي سيقضي على أعداء الله، ستبدأ مرحلة نورانية وأبدية من حاكمية الدين الإلهي والمتخصّصين المعصومين على العالم.

فهل لنا بعد ذلك أن نزعم أنّنا محبّو أهل البيت عليهم السلام والمعزّون الحقيقيون، بينما لا نبذل أيّ جهد من أجل إقامة حكومة آل محمد صلى الله عليه وآله ووراثة المستضعفين الأرض، ونرضى بالمصيبة العظمى؟

معصية القبول بالمصيبة العظمى

ذكرنا سابقاً بأنّ دين الله هو دين التوحيد الحقيقي، وهو الضمانة لحياتنا البشرية، وبدونه لسنا سوى جثّة هامدة، وأنّ الإمام والقائد المعصوم المختار من الله تعالى ليطبّق هذا الدين، هو عنصر حياته وعامل بقائه واستمراريته، وبدونه لا وجود للدين، وبدون الدين لا وجود للحياة.

لقد ورد في زيارة وارث لعن الذين سكتوا عن المصيبة العظيمة للإمام الحسين عليه السلام ورضوا بها، إذاً، فالسكوت على المصيبة العظمى جريمة أعظم، والذين يرضون بغياب المعصوم عن رأس حكومة المجتمع الإنساني، وحرمان الناس من نور هدايتهم، ويؤيّدون وجود غير المعصوم في الحكومة، ويسلّمون

١. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١١٢.

بدين غير دين الله، أولئك ملعونون ومذمومون.

يعرف المعزّي الحقيقي جيداً، بفضل المعرفة التي اكتسبها، أنّه ما لم يكن منتظراً حقيقياً[1] ومطالباً بظهور الإمام المهدي عليه السلام، لن يُتح له أن يكون معزّياً حقيقياً وفي زمرة المنتقمين للإمام الحسين عليه السلام، بل أبعد من ذلك، سوف يصل إلى نتيجة مفادها أنّه إذا لم يسير في طريق ظهور المنتقم الأصلي ويرفع موانع الظهور، فإنّه قد ارتكب ظلماً بحقّ الإمام عليه السلام. إنّ ترك الإمام المهدي عليه السلام وحيداً يحاكي ترك أهل الكوفة للإمام سيد الشهداء عليه السلام. إذا لم يضطرب وجود الإنسان لغياب الإمام المهدي عليه السلام ولم يشعر بالشوق لرؤيته، فذلك هو عين الخصام وعدم الوفاء بحقّه. إنّ عدم وفاء الشيعة بحقّ الإمام عليه السلام ونسيانهم إيّاه، هو ما يشتكي منه الإمام عليه السلام ويئنّ من جرائه، وهو السبب الذي جعل الإمام يستمرّ في غيبته، الأمر الذي أخّر عملية الانتقام الإلهي من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وسائر المعصومين عليهم السلام.

لقد قلنا قبل هذا أنّ الإمام المهدي «عجّل الله تعالى فرجه الشريف» في رسالته التي بعثها إلى الشيخ المفيد «رحمه الله» قبل ألف عام تقريباً، ذكر نقطتي ضعف الشيعة اللتين تؤخّران ظهوره، وهما: عدم الوفاء للإمام، وعدم وحدتهم لإزالة موانع الظهور.

هؤلاء الشيعة وبسبب تقصيرهم في أداء مسؤولياتهم تجاه الإمام المهدي عليه السلام يُحسبون في زمرة الذين يؤذون الإمام حيث اشتكى منهم بهذه العبارات:

١. حول خصائص المنتظر الحقيقي ووظائفه خاصة في الوقت الراهن راجع الباب الرابع من كتاب: «آشتى با امام زمان عليه السلام (التصالح مع الإمام المهدي عليه السلام).

«قد آذانا جُهَلاءُ الشّيعَةِ وَ حُمَقائُهُمْ وَ مَنْ دينُهُ جَناحُ الْبَعُوضَةِ أَرْجَحُ مِنْهُ»[1].

يقول الإمام علي عليه السلام في وحدة الإمام المهدي عليه السلام ومظلوميته بين شيعته:

«صاحب هذا الأمر الشريد الطريد الفريد الوحيد»[2].

أليس هذا الكلام عن إمام عصرنا وأبونا السماوي؟ أليس هو حسين زماننا؟ ألا يصرخ في كل يوم:

«هل من ناصر ينصرني؟»

ألا ينبغي لنا أن نلبّي هذا النداء الذي صدح قبل ألف ومائة عام؟ إذا لم نلبّي نداء النصرة هذا، ألن نكون كالذين تركوا الحسين عليه السلام وحيدا؟

المؤمن الواقعي والمعزّي الحقيقي هو الذي يستمع لهذا النداء بأذُن روحه، ويوصل نفسه إلى خيمة الإمام على جناح الحب والحماس. المعزّي مسرور وشاكر لوصوله إلى المرحلة الخامسة من العزاء (عمليات الانتقام) وخيمة الإمام، لكنّ هذا التوفيق لا يرضي طموحه وغروره، لأنّه لا يزال يرى إمامه زمانه هائماً في صحراء الغربة والوحدة والمظلومية، وهو متألم لهذا الوضع. إنّه يشكو كثرة الأعداء وقلّة الأصحاب والمعزّين الحقيقيين، ولهذا السبب ينهض برجولة لإنهاء وحدة الإمام عليه السلام وغربته. إنّه يسعى إلى مساعدة الأحبة والمعزّين الآخرين الذين تخلّفوا في المراحل الدنيا، ليوصلوا أنفسهم إلى المرحلة الخامسة ويقفوا على باب خيمة الإمام ليكونوا من أعوانه وأنصاره.

من أعظم الوظائف الملقاة على عاتق المعزّي الحقيقي في هذه المرحلة توعية الآخرين لمسألة تشريد حسين زماننا ووحدته وتغرّبه، ولن يتوان عن

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٧٣.

٢. كمال الدين ج ١ ص ٥٦٣.

أيّ جهاد ثقافي أو بالنفس والمال، فما من خدمة أهم وأطيب عنده من أن يأخذ بيد أبناء الإمام الذين افترقوا عن والدهم وإمامهم وأن يسلّمهم لأبيهم السماوي، إنّه يعلم أنّه بهذا العمل سيرتقي إلى المنزلة الخصيصة والقريبة من إمام العصر عليه السلام وإلى المقام المحمود الذي طالما تمنّاه في زيارة عاشوراء.

يقيناً، إنّ المعزّي الحقيقي لا يرض أبداً أن يكون في زمرة الذين يؤذون إمام زمانهم، وأن يشارك أعداءه في جريمة وضع الموانع أمام ظهوره. إنّ التقصير في معرفة الإمام وأداء الوظائف المناطة بنا تجاهه تجعلنا لا نتمنّى ظهوره أبداً، وأن لا نجهد في دفع الأعداء ورفع موانع ظهوره، وأن ننخرط عملياً في زمرة الذين يساهمون في إقصاء الإمام عليه السلام عن الموقع أو المنزلة التي وضعه الله تعالى فيها، وهو إقامة الحكومة العالمية في المجتمع الإنساني، وأن نُبتلى، لا قدّر الله، باللعنة الإلهية الأبدية.

نعم، إذا لم نرغب في ظهور الإمام المهدي عليه السلام ولم نجاهد في سبيل ظهوره، فسنكون ملعونين. لو أنّنا رغبنا في تأخير ظهور الإمام ولو لحظة واحدة، ورضينا بحكومة غير الحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام ولو ساعة واحدة، وأنسنا بظروف غير ظروف حكومته عليه السلام، فسوف نبوء بلعنة الله وجميع اللاعنين الذين يقرأون زيارة عاشوراء، وكذلك نبوء بلعنة أنبياء الله وجميع ملائكته، لأنّنا بذلك نرتكب ظلماً كبيراً بحقّ الإمام المهدي عليه السلام.